

الفطرة (Instinct)



إنّ "المعاجم اللغوية" لا تضع أيدينا على المعنى اللغويّ المراد بمفهومه الدقيق لتعريف "الفطرة"، وإنّما تكشف لنا عن الوجوه المتشعّبة لمعاني هذه الكلمة؛ لأنّ مهمّتها هي: ضبط الألفاظ، لا تحديد معانيها، فالذي يراجع معنى "الفطرة" في قوا ميس ومعاجم أهل اللغة يجد لها معانٍ عديدة.

قال الأزهريّ: (قال ابن عباس: كنت ما أدرى ما فَطَرَ السماوات والأرض، حتّى احتم إلى أعرابيّان في بيته، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها، أي: أنا ابتدأن حفرها) [1].

وأخبرني المُنذريّ، عن أبي العباس أنسٌ سمع ابن الأعرابيّ يقول: أنا أوّل من فَطَرَ هذا، أي: ابتدأه.

وقال صاحب اللسان في شرح قوله (ص): "كلّ مولودٍ يولد على الفطرة"، قال: (الفطر: الابتداء والاختراع) [2].

وقال الراغب[3]: (الفطرة: الحالة كـ"الجـلـسـة" وـ"الرـكـيـة").

وقال أيضاً: (وفَطَرَ إِلَهُ الْخَلْقَ، وَهُوَ إِيجادُهُ الشَّيْءَ وَإِبْدَاعُهُ عَلَى هَيْئَةٍ مُتَرَشّحةٍ لِفَعْلٍ مِنَ الْأَفْعَالِ، فَقُولُهُ: (فَطَرَهُ إِنَّمَا الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) هُوَ مَا رَكَبَ فِيهِ مِنْ قَوْتِهِ عَلَى مَعْرِفَةِ الإِيمَانِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ بِقُولِهِ: (وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِلَاهٌ لَهُمْ) (الزخرف/ 87)، وقال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) (فاطر/ 1).

ولابدّ لنا هنا أن نشير إلى أنّ "فَطْرَة" على وزن "فِعْلَة" وهي: "الصيغة" التي تدلّ على "الهيئه" أو "الحالة"، وهذا يعني: أنّ إله ابتدأ خلق الناس على هيئهٍ وحالةٍ، ولابدّ أن تكون هذه الهيئه والحالة لها صلة بالدين، وذلك يُفهم من سياق الآية، حيث يقول عزّ من قائل: (فَآتَقْمَ وَجْهَكَ...).

فـ"الفطرة" إذن: حالة وهيئة دينية خُلِقَ عليها الناس ابتداءً، ولكن ماذا تعني هذه الحالة الدينية؟ فإذا رجعنا إلى النصوص فإنّ أول ما يتبادر إلى الذهن من الحديث المشهور: "كل مولودٍ يولد على الفطرة فأبواه يُهُوّدَانه، أو يُمْسِرَانه، أو يُمْجِسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاً" [4].

الهوامش:

[1] - تهذيب اللغة للأزهريّ: "مادّة فطر".

[2] - لسان العرب لابن منظور "مادّة فطر".

[3] - مفردات الراغب للأصفهانيّ: 383.

[4] - صحيح البخاري 3: 197.

المصدر: مجلة رسالة التقرير/ العدد الثاني لسنة 1993م